1432هـ/2011م

المكان في رواية ليالي ألف ليلة لنجيب محفوظ

م. د. سروه يونس احمد*

تاريخ التقديم: 2010/4/19 تاريخ القبول: 2010/6/9

حاولنا في هذه الدراسة أن نتأمل المكان في رواية (ليالي ألف ليلة) عند نجيب محفوظ، فهو يقدم عالما"واقعيا"في جوانب كثيرة وجوا" غرائبيا" يشكل رمزا"لحركة الإنسان بين المادة والروح فتتحطم الحواجز بين الأزمنة والأمكنة ولاسيما انه أفاد من شكل المكان في حكايات ألف ليلة وليلة الأصل وفي سحر أماكنها وغرابتها، إذ نرى انه نجح في خلق جو خيالي فاتن له الق السحر ودهشة الماضي في أجوائها، فنراه يبتكر إعادة التحفيز الثانوي ويعيد إنشاء ألف ليلة مما يشكل آلية للربط بين الماضي والحاضر بعلاقة تناصية، أراد أن يقدم عبر هذا المكان واقعا"وأشياء كثيرة من عالمه ومجتمعه لا يستطيع الإفصاح عنها فكانت هذه الأماكن بشخصياتها عونا"على بث ما أراد الكاتب عبر صهر الحدود بين الواقع والخيال ليحاول أن يصل إلى المكان المثالي أو المدينة الفاضلة كما نشدها شهريار في الرواية للخلاص من متناقضات الحياة وجعلها تعويضا"نفسيا"عن احباطات متتابعة داخل فضاء المكان المحدد.

المكان

للمكان بوصفه عنصرا أساسيا في بنية النص الروائي أهمية فائقة في تكامل نص روائي متميز، تختلف دلالته عند الباحثين، وقد عرف الإنسان منذ القدم الدور المتميز للمكان وعلاقته بوجوده، فعلاقة الإنسان بالمكان (علاقة تأثير متبادل ، فالإنسان يمارس فاعليته في (المكان) بل ويغير من طبيعته في كثير من الأحيان ثم يعود (المكان) فيمارس تأثيره على الإنسان في دورة لا تنتهي من

---

* قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

التأثير المتبادل) (1) ونشاطه لا يكتسب أي معنى إلا بعلاقته بتلك الأماكن في اللغة هو (موضع لكينونة الشيء فيه ...... والمكان الموضع والجمع أمكنة وأماكن جمع الجميع)(2).

ويفصح ذلك إلى انه الحيز الحاوي للأشياء أما في الاصطلاح فتتعدد المفاهيم عند الباحثين والمفكرين وتتفاوت في تحديد ماهية المكان ، فهم ينطلقون كل حسب تصوراته والرؤى التي يبنون عليها مفاهيمهم فعدهُ بعضهم (حاويا وقابلا للشيء)(3).

فهو يستوعب الأجسام الداخلة فيه وهو حقيقة من حقائق الواقع و يمكن تصوره عن طريق الحواس بعكس الزمان لا يدرك بالحواس وإنما نحسه.

ومفهومه (لا يوجد إلا من خلال اللغة) (4) فهو احد العناصر الفاعلة في القصة المحكية ، إذ أنها (لا بد أن ترتبط بشكل من الأشكال بالمكان على اختلاف في قيمة المكان ودوره في بنية العمل)(5).

إن نظرة أكثر شمولا للمكان تجعله ميدانا لحركة الأشخاص ومسرحا للأحداث وتجسيد الأفكار ليغدو مجالا عاما تتحد فيه سمات الشخصيات وطباعها وانفعالاتها(6).فالكاتب الروائي يفضل أن يضع الحدث والشخصية في حيز واقعي

---

(1) بناء (فضاء المكان) في القصة العربية القصيرة: د. سيد محمد إسماعيل دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات، 2002: 13 وينظر: جماليات المكان، كاستون بلاشلار، ت: غالب هلسا المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، ط3، 1982، : 46.

(2) لسان العرب: ابن منظور ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، 1956 ، بيروت : م/2:517.

(3) نظرية المكان في فلسفة ابن سينا: حسن مجيد العبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987: 19.

(4) بنية الشكل الروائي (الفضاء ، الزمن ، الشخصية) المركز الثقافي : حسن بحرواي العربي، دار العربي، الدار البيضاء، المغرب ط1، 27،1990.

(5) تحولات السرد : إبراهيم السعافين ، دراسات في الرواية العربية، دار الشروق ط 1 عمان، الأردن، 1996:165.

(6) ينظر الفن القصصي (طبيعته وعناصره ومصادره الأولى): د. عبد الخالق علي دار قطر بن الفجاءة قطر،1987: 80.

أو على صورة الواقع حتى يرقى بالمكان من كونه د يكوراً للحدث إلى أن يصبح من وظائفه، فوجوده (يعطي للمتخيل مظهر الحقيقة)(7).

فالعناصر الروائية بالرغم في كونها من صنع خيال المؤلف الروائي إلا أنها بتحديد إطارها المكاني، تبدو اقرب إلى الحقيقة منها إلى الخيال والإحساس بالمكان لدى الكاتب وفي تعبيره عنه يفترض أن يجعل القارئ (يحسُ بالانطباع والنكهة والأصوات والجو المألوف الخاص به وان يستطيع مراقبة الشخصية في عملها وفي حياتها وان يرى ما تراه الشخصية في عملها وفي حياتها وان يرى ما تراه الشخصية في وجهة نظرها وان يحس ما تحس به تجاه هذا المكان)(8).

المكان في الليالي:

إن القارئ لرواية (ليالي ألف ليلة) يرى فيها من التنوع والازدحام في الحيز المكاني فضاء" شاسعاً وغريباً، متأتياً" من خيال نجيب محفوظ والخلاق من خلال استثماره لعدد من الدلالات والرموز المتسامية مع نسق مرجعي متجسد في قصة (ألف ليلة وليلة) المعاد تكوينها في مخلية المبدع وذلك بصورة مضاف إليه معطيات الحاضر من خلال النسق الاجتماعي والفكري مما أضفى نوعا من الرموز والدلالة الواسعة التي لا تحدها حدود على المكان الذي تزخر به روايته، إن عملية الدمج بين المكان الماضي المتمثل بقصة (ألف ليلة وليلة) والحاضر في رواية (ليالي ألف ليلة) يجعل للمكان دلالة تشي بالإيحاء الواسع والحر والمطلق و يرتبط بالأشياء التي يمكن أن تقول إنها ليس لها مكان محدود ، والتي تنحسر بالعفاريت و تلعب دورا أساسيا" في حرية الانتقال بين الأماكن بلمح البصر ولها القدرة على الغوص في أعماق البحار بعد أن كانت في قمقم لحبس الجن.

ويظهر المكان في رواية ليالي ألف ليلة في مستويات عدة هي:

1 -المكان الواقعي المحسوس .

2 -المكان الخرافي .

---

(7) تداخل البنى السردية والتركيبية والرؤية للعالم: في الغربة لعبد الله العروي، الطائع الحداوي، مجلة، الأقلام بغداد عدد (6) 1987 :100 .

(8) البيئة في القصة(مقدمة نظرية):وليد أبو بكر مجلة الأقلام العدد(7) بغداد،1989: 63.

3 - الأماكن الانتقالية.
4 - المكان الحلم (الفردوس) .

المكان الواقعي:

هو (المكان المشاهد في الواقع والمعاين في الوجود الذي يمثل أنماطا مختلفة من الأماكن تشكل في مجموعها بيئة الإنسان ومحيطه الذي يعيش فيه يُتفاعل معه أو يقبع في ذاكرته)(9).في روايات نجيب محفوظ المكان محدد وأكثر رواياته تدور أحداثها في القاهرة وحواريه ويحدد المكان في رواياته ،في ليالي ألف ليلة جاءت مغايرة لرواياته إذ يتحدث عن المدينة والقصر والمقهى وغيرها من الأماكن لكن لا يذكر مكانها وأين تقع أو أسمائها أو حارات معروفة مثل حارات القاهرة ولم يذكر اسم مقهى سوى مقهى الأمراء ولا نعرف مكانه أين يقع في أي حي ولا يوجد وصف دقيق للمكان في الرواية سوى ما سنعرضه .

فالقصر مثلا"يمثل المكان الأول والرئيس ي الذي يطالعنا في الرواية فهو مسرح الأحداث ورواية الحكايات على لسان(شهرزاد) ثلاثة أعوام وهي تروي في هذا القصر الرابض فوق الجبل وما يحصل من خوف وقلق من قتل للعذارى فيه كل ليلة حولته الليالي من مكان مخيف الى مكان ساد فيه السلام وانطفأت فيه روح الانتقام والدم بفضل الحكايات، هذا المكان غير محدد الملامح (مضى في الطريق الصاعد الى الجبل .... دخل القصر الرابض فوق الجبل اقتاده الحاجب الى شرفة خلفية تطل على الحديقة المترامية.....) (10) أي قصر هذا الرابض، وأي جبل، وأين الحديقة المترامية لا نعلم ولا يقدم وصف دقيق للمكان ولكنه كان مسرحا للحكايات .

والمدينة في الرواية يذكرها الراوي مكانا"للحدث و تقدم صورة حقيقية للواقع، والسارد لا يقدم أو يذكر مدينة بعينها وإنما يقدم المدينة بوصفها العام ليس بالاسم سوى بعض إشارات إلى الأشياء التي جلبت من المدن مثل (عباءة بغدادية وعمامة دمشقية ومركوب مغربي وبيده مسبحة فارسية حباتها من اللؤلؤ النفيس)(11).

---

(9) المكان في الشعر العراقي الحديث: سعود احمد يونس، رسالة دكتوراه 1996: 19.

(10) ليالي ألف ليلة (رواية): نجيب محفوظ، مكتبة مصر شارع كمال صدقي1979 : 3 .

(11) المصدر نفسه: 247.

وهذه إشارات إلى أن هذا المكان هو المكان العربي بعامة أشار إليه الكاتب ،وترد المدينة باسم (حينا) ولا نعرف أي بلد (علي السلولي حاكم حينا....) (12) ولا يذكر أي وصف للمدينة، يذكر أيضا الدار مثلا (يقيم الشيخ البلخي في دار بسيطة بالحي القديم ....) (13) لا معالم للدار، ولا نعرف ملامحه، هذه الأحداث، كذلك المكان الذي جمعت فيه العفريتة (زرمباحة) (أنيس الجليس) في حكاية (أنيس الجليس) (14) وجمعت فيه رجالات الدولة حتى السلطان ، وهو مكان في المدينة اسمه (الدار الحمراء) وفي هذا الاسم إشارات كثيرة ورموز تدل على المكان الفاسد والإغراء والغواية جمعهم الكاتب ليظهر مدى تورط رجالات الدولة في الرذيلة ووقوعهم في شركها فهذا المكان ساواهم مع الأرذال من الناس في الغواية حبسهم بدون أوعيتهم، إلا أن المجنون أو خلصهم حتى لا يفتضح أمر الدولة في النهار فتكون بدون رجالات وهو مكان واقعي تدخلت فيه زرمباحة العفريتة. وترد للمدينة وأحداثها العجيبة في مواقع عدة ، ويذكر معالم واقعية غير محددة بمكان معروف منها،شارع الموكب والأعياد، ودار الإمارة،الخلاء على مقربة من اللسان الأخضر الممتد في عرض النهر، فهي أماكن غير واضحة.

وهناك لوحات وأمكنة تذكر في النص السردي في حكاية (مقهى الأمراء) (15) فالمقهى كان منبع الحكايات ومصبـها ومكانا" لتجمع شخصيات المدينة ورواية القصص والأحاديث ومقابلات السادة والفقراء و له تأثير في إضفاء الكثير على الشخصيات بوصفه مرتع ا" للراحة ، إن للمقهى (حضورا كبيرا في الرواية العربية والغربية) (16).

في بداية الحكايات بوصفه مقدمة للرواية ويرد في كل حكاية تقريبا فهو المنبع والمرجع لسرد الحكايات وتوارد الأخبار واجتماع الشخصيات من العامة

---

(12) المصدر نفسه: 15 .

(13) المصدر نفسه : 7 .

(14) ليالي ألف ليلة: 165.

(15) المصدر نفسه : 10 .

(16) بينة النص السردي من منظور النقد الأدبي : حميد الحمداني المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء المغرب 1993 : 72.

والخاصة حيث وتلغى فيه المستويات ، يقدمه لنا الوصف في النص السردي (يتوسط المقهى الجانب الأيمن من الشارع التجاري الكبير وهو مربع الأركان واسع المساحة يفتح مدخله على الطريق العام وتطل نوافذه على حواري جانبية تقوم في جوانبه الأرائك للسادة وتستقر في دائرة من وسطه الثلث للعامة .....

تشهد لياليه كثيرين من السادة أمثال صنعان الجمالي وابنه فاضل وحمدان طرنيشة وكرم الأصيل وسحلول وإبراهيم العطار وابنه حسن وجليل البزاز ونور الدين وشملول الأحدب ، كما تشهد كثيرين من العامة أمثال رجب الحمال وزميله والسندباد وعجر الحلاق وابنه علاء الدين وإبراهيم السقاء ومعروف)(17). نرى هذا المقهى بموقعه الذي يطل على كل جوانب المدينة له دلالة على اطلاعه على كل أحداثها، فقدم به الشخصيات التي في المدينة من العامة والخاصة واسقط عليهم الإحساس بالأمن والطمأنينة ، إن محط الحكايات التي تحدث في ها تعد عينا" على الأحداث التي تقدم وتستبق ما يحدث فيما بعد وهذا ما نجده في حكايات الرواية، وتركيبة هذه الرواية المغايرة جعلت من الأمكنة غير واضحة المعالم ولا الأوصاف فعمم الأمكنة لأنها صيغت على ما جاءت عليه ألف ليلة وليلة .

المكان الخرافي :

نجد في المكان الخرافي (مفارقة ومغايرة لما هو مألوف ومأنوس في تلك الأمكنة المعتادة والمتكررة في الخطاب الروائي) (18) ، وه ذا الحيز احتل مكانة شاسعة في الرواية ولا نجد له حدودا فمن عنوان الرواية يتبادر إلى الذهن أنها مرتبطة أو فيها عبق من فضاءات ألف ليلة وليلة الأصلية وما فيها من خرافات وأساطير مالا حد له، فالمدينة التي تنشا فيها الحكايات على لسان (شهرزاد) وكلها تحتوي على الغرائب والخرافات من الأحداث وتدخل القوى الخفية فيها من بداية الرواية إلى نهايتها وكلها مرتبطة بالعفاريت وناتجة عنها ،فمثلا جبل قاف الذي

---

(17) ليالي ألف ليلة :15.

(18) شعرية المكان في الرواية الجديدة الخطاب الروائي لا دور الخراط نموذجا، خالد حسين كتاب الرياض عن مؤسسة اليمامة الصحيفة 2000 : 394.

يذكر ثلاث مرات في الرواية، حيث انه (مكان للضياع والفقد... وارتفاع وحاجز ونهاية)(19)عمدت القصة إلى استعماله لتلك المعاني وللدلالة على البعد المفرط واستحالة وصول احد من الأنس إليه من الأنس ليخبر عنه،في حكاية (صنعان الجمالي)(20)، عندما يتعرض صنعان إلى قوة غريبة وتأمره بتأدية عدد من الأوامر (إني طوع أمرك .... حذاري ان تحاول خداعي .... سلمت الأمر لقدري ... ستكون في قبضتي ولواويت إلى جبل قاف) (21) هذا الحيز يدل على اختراق المكان للحيز الطبيعي إلى جبل قاف الذي لم يذكر إلاّ في الأساطير والخرافات وارتباطه بالعفاريت فهي القادرة الوحيدة على الوصول إليه فمن النص يظهر انه مكان نائي بعيد لا يستطيع البشر الوصول إليه.

وفي مكان آخر من الرواية في حكاية (جمصة البلطي) يعترض جمصة أيضا إلى قوى غريبة من عفريت(سنجام) يرد على لسان الجني (الحق إني فكرت بهدوء فوق جبل فاقتنعت بأنك أديت لي خدمة غير مذكورة وان تكن غير مقصودة فقررت أن أرد الصنيع بمثله ودون تجاوز للحدود)(22).

وكذلك يرد على لسان العفاريت (هلم بنا إلى جبل قاف نحتفل بتحريرك)(23) فالعفريت كان فوق جبل قاف بعيدا عن الناس والع الم وهو المكان الذي لا يصله إلا العفاريت (كأنه علامة تقع على تخوم الأرض وحدودها، فكل تجاوز له إنما هو من قبيل خوارق الجن والعفاريت) (24) وحدهم القادرون على الذهاب إلى جبل قاف فهو إذن حيز خرافي لا يماثله شيء على الأرض ولا يوجد حيز أروع ولا أبدع ولا ابعد منه في الكون، وهذا ما نجده في مواقع مشابهة واغلبها نتاج العفاريت ، في حكاية (جمصة البلطي) وهو في القارب يتناول كرة معدنية

---

(19) ليالي ألف ليلة: 15 .

(20) المصدر نفسه: 15 .

(21) المصدر نفسه:15 .

(22) ليالي ألف ليلة:50 .

(23) المصدر نفسه: 21 .

(24) عالم القصة في سرد طه حسين: احمد السماوي، التعاضدية العالمية للطباعة والنشر ، ط 1، صفاقس، 1996:19.

علقت بالشبكة فتنفجر لتحدث صوتا هائلا ويخرج منها عفريت ، وهذا العفريت وخروجه إلى جمصة يحول القارب الى مكان خرافي مليء بالغبار الذي يعلو إلى السماء حتى ان الشخصية اندفعت إلى حافة القارب من هول مارات ، وكذلك في حكاية (السلطان) يلجأ شهريار إلى مدينة الفردوس ويهجر قصره ويدخل فيها يتبين (لشهريار انه بحاجة إلى ألف عام لاكتشاف خبايا الحديقة وإلى ألف عام أو أكثر لمعرفة أبهاء القصر وأجنحته)[25] . فهنا المكان يدخله (شهريار) ويجد فيه من الغرابة ما يبتعد به عن ما هو مألوف بالواقع، فشهريار الذي عاش في القصور الفارهة لم يجد مثل هذه المدينة ولا في خياله إلا إننا نجدها تلامس ما تحدثه به شهرزاد من عجائب في حكاياتها حيث يضع زمنا بألف سنة لاكتشافها وهذا ما نجده أيضاً في حكاية السندباد فللمكان الخرافي العجيب يرد في كل حكايات السندباد وسفراته السبعة التي ذكرها في مواقع كثيرة من الرواية :

1 . الأرض الصلبة التي وقفوا عليها بعد غرق السفينة الأولى واتضح إنها حوت كبير عليه مدينة بأكملها[26].

2. الجزيرة الثانية وعليها الصخرة الجرداء ويتبين أنها بيضة الرخ الطائر العملاق الأسطورة[27].

3 . الجزيرة التي يملكها عملاق يسمّن الناس ويأكلهم[28].

4 . الجزيرة التي إذا توفي الرجل فيها تدفن زوجته معه وهي حية وكذلك المرأة [29] .

5 . الجزيرة التي حمل فيها السندباد رجلا بنى على ظهره سندباد زمنا طويلا[30].

---

[25] ليالي ألف ليلة: 38.

[26] المصدر نفسه : 250 – 251 .

[27] المصدر نفسه: 252 .

[28] ليالي ألف ليلة: 253 .

[29] المصدر نفسه: 253– 254 .

[30] المصدر نفسه : 254.

6. جزيرة الحسان العفاريت الذين لا يذكرون اسم الله في الجو لئلا يحرقوا وطائر الرخ (31) كل ذلك حول المكان إلى مكان خرافي ، فالرخ طائر يرد ذكره في الأساطير والخرافات والرحلات العجيبة ويطير عبر مسافات بعيدة وخرافية (لم يطر الرخ بإنسان قبلك فماذا فعلت ؟ وتركته عند اول فرصة منجذباً ببريق الماس ...... فقال المهيني بحماس : الرخ يطير من عالم مجهول إلى عالم مجهول، ويثب من قمة ألواق إلى قمة قاف فلا تقنع بشيء فهي مشيئة ذي الجلال)(32) كما رأينا يأتي المكان بأوصافه خرافيا وقد يتحول إلى ذلك بفعل تصرفات وعادات الشخصيات في ذلك المكان فطائر الرخ يستدعي من الماضي السحيق الوارد في الخرافات حيث يقوم الكاتب بسحب الموروث من أرضه إلى واقعه لأنه لا يرى في هذا الواقع غايته ومبتغاه ولم يعد يحقق له شيًا فأراد بهذه الرموز الخرافية أن يقدم المغزى والعبر عبر أماكن (شهرزاد) العجيبة .

الأماكن الانتقالية :

ويشمل المكان المائي والمتحرك إذ أنها أماكن انتقالية بين محيط وأخر،فالماء يشكل ، ويشمل هذا الفضاء المكاني البحار والأنهار والبرك وما فيها من جز ر وسفن وزوارق وما يحدث فيها من أخطار ومغامرات ومعتقدات كثيرة وخوارق، وفي رواية نجيب محفوظ نرى أن الماء أتى بمدلولات ورموز كثيرة أراد الكاتب طرحها وربطها بقضايا كثيرة منها التصوف، والتطهير، والنقاوة وغير ذلك.

ونرى هذا الخير له مساحة شاسعة في الرواية واهم ما يطالعنا فيها هو سفرات السندباد ونحن بعرف تاريخ هذه الشخصية المغامرة الباحثة عن الاستقرار والحياة الكريمة بمغامراتها السبعة مع السفن والجزر والخوارق العجيبة التي رواها للسلطان بعد أن كان حمالا قررّ أن ينقل حاله إلى حال أفضل ووجد ضالته في السفر (هناك حياة أخرى يتصل النهر بالبحر، يتوغل البحر في المجهول يتمخض المجهول عن جزر وجبال وأحياء وملائكة وشياطين، ثمة نداء عجيب لا يقاوم، قلت لنفسي جرب حظك يا سندباد والق بذاتك في أحضان الغيب)(33) فالسندباد

---

(31) المصدر نفسه : 255 .

(32) المصدر نفسه: 262.

(33) ليالي ألف ليلة: 11.

يجوب البحر باحثاً عن ذاته وهويته، وهو إبحار لمدة سنين يصفعها بالقرون تتخلل رحلاته العجائب في الجبال وأعماق البحار ومجهول الجزر فهو يحب البحر والسفر يهوي هذا المكان ويعرف ما سيواجه من مخاطر في السفن وفي كل رحلة ومكان يخرج بفضل العقل بتجربة يتعلم منها الكثير فرحلاته كلها لها مغزى وعبر في النص السردي (غرقت سفينتنا في رحلتنا الأولى سبحت متعلقا بلوح من ألواحها حتى اهتديت إلى جزيرة سوداء شكرنا الله أنا ومن معي وصلنا وجلنا في أنحائها نفتش عن ثمرة ولما لم نجد تجمعنا على الشاطئ متعلقة أما لنا بأي سفينة تعبر وما ندري إلا واحدنا يصيح: الأرض تتحرك نظرنا فوجدناها تميد بنا فركبنا الفزع وإذا بآخر يصيح الأرض تغرق)[34] ومن هنا نرى أن النص السردي يجنح إلى فضاءات مائية خارقة الأرض تتحرك تغرق وهي جزيرة يعيشون فوقها ويتبين أن هذا الجزيرة هي (ظهر حوت) أزعجته حركتهم فوق ظهره فمضى إلى عالمه، سبح السندباد إلى ان وصل إلى جزيرة ثم مرت سفينة فنجا وهنا يشير إلى الأرض الصلبة أي أن وقوف الإنسان على ارض هشة في جميع نواحي الحياة يعرضه للهلاك كما من أسس بنيانه على شفا جرف هارٍ فانهار به وهذا الغرق يتكرر في رحلاته الأخرى السبعة وفي كل رحلة مائية يتعلم منها عبرة وموعظة نراه معهم على رحلاته خاضها بكل ما فيها من حب للبحر ، حتى في أصعب ما لاقاه نراه يتعلم في تلك الجزر والبحر ومتيقن بعقله وغم شعوره بالهلاك انه عائد وبهذا يدخل التشويق في احداث المغامرة الذي اكسبه الكاتب للنص وللمكان في رحلات السندباد على الرغم مما يحدث يحدث يتمتع بجمال الطبيعة. فنلحظ السرد يورد غرقت السفينة واتجهنا إلى جزيرة... وانتشلتني سفينة فنجوت والحيز المائي في هذه الرحلات تمتع بالغرابة واختلاف تشكيلاته من ظهر الحوت والبيضة وارض الحسناوات، ومغامراته تنبع من نفس المنبع في النصح والإشارة والعبر والأماكن التي أوردتها (شهرزاد) في حكاياتها. في الجانب الآخر نرى أن نجيب محفوظ استخدم أو وظّف المائي لتطهير الشخصيات ووصولها إلى الصفاء الذاتي فمثلا

---

(34) المصدر نفسه: 250 .

نرى أن جمصة البلطي بعد أن تحول إلى عبد الله البري عشق الماء ورأى عابدا "(سيدي ما يبقيك في الماء ؟ من أي الأحياء أنت ؟ ما أنا إلا عابد في مملكة الماء اللانهائية ، تعني إنها مملكة تحيا تحت الماء؟ نعم، تحقق بها الكمال وتلاشت المتناقضات ، ولا ينغص صفوها إلاّ تعاسة أهل البر فقال عبد الله منبهراً: عجيب ما اسمع ولكن قدرة الله لا حد لها ، كذلك رحمته فاخلع ثيابك واغطس في الماء. لماذا يا سيدي ؟ لماذا تطالبني بذلك في الليل البارد ؟ افعل كما أقول ان تطوق عنقك القبضة القاتلة ، وسرعان ما غاص عبد الله البحري في الماء تاركه لاختياره وبدافع من السهام ثمل خلع ملابسه وغاص في ماء النهر حتى اختفى تماماً وإذا بالصوت يقول له عد البر آمناً.... وما كاد يشعر بالأرض تحت قدميه حتى استقر قلبه بين ضلوعه وشعر بأنه جارحة من جوارح السماء والأرض والليل.....)(35).

وهو بعد غوصه احدث الماء فيه تطهيرا وتجديداً لم يعرفه من قبل بوصوله إلى النقاء والصفاء بالجسد والروح بالحياء والصدق ونلحظ هذا الفضاء السردي ورد في حكاية (البكّاؤون) عندما هجر (شهريار) العرش وتفكر في أفعاله وما أحدثته حكايات (شهرزاد) فيه، (وجد نفسه يقترب من بركة صافية تقوم فيما وراءها مرآة مصقولة وسمع صوتاً يقول: افعل ما بدا لك سرعان ما لبى رغائبه الطارئة فخلع ملابسه وغاص في الماء....

دلكته نبضات الماء بأنامل ملائكية وتسللت إلى باطنه أيضا.... خرج من الماء فوقف أمام المرآة فرأى نفسه جديراً في أهاب فتى أمرد ، قوي الجسم متناسقه، بوجه مليح ينضج فتوة وشباباً وشعر اسود مفروق وقد طرد بالكاد شاربه ، همس سبحان القادر على كل شيء) (36) وهنا حدث التطير لشهريار الملك المليء بالأخطاء ودماء العذارى ، و كان هذا الفضاء دافعا نافعاً لنقائه من الذنوب وتطهيره من الأردان ويقترب في قصه مضمنة في سرد الحكايات على لسان الشيخ البلخي إلى التوجه الصوفي في النقاء والوصول إلى أعلى درجات الإيمان

---

(35) ليالي ألف ليلة: 87- 88.

(36) المصدر نفسه: 264.

واليقين عندما أمر الشيخ ان يرمي وريقات بالنهر فلم يفعل وذهب إليه وقال انه رماها فقال له تعمل بأمري ارجع فارمها فرماها فانشق الماء، وظهر صندوق وفتح غطاؤه حتى سقطت الوريقات فيه فقفل والتفت المياه ، فرجعتُ إليه وأخبرته بما حصل فقال لي الآن رميتها فسألته أن يبين لي سر ذلك فقال قد كتبت كتابا في التصوف لا يمكن أن يناله إلاّ الكُمّل فطلبه مني أخي الخضر وقد أمر الله المياه أن تأتيه به فكان هذا الحوض هو بمثابة واسطة لإيصال الكتاب يدخل فيه التصوف في التقرب إلى الله والوصول إلى درجة منه للوصول إلى مرحلة هذا الشيخ وتوظيف الخضر عليه السلام للوصول إلى النقاء الروحي وبهذا يكون المكان المائي قد احتل حيزا واسعا في الرواية نمقه بالغرائب والعجائب كما كانت ألف ليلة وليلة تشوق قا رئها مع معالجة لواقعنا وإشارات هامة ذات دلالات عميقة ، هذا يسمح لنا بتأويل (حركة الغطس بأنها عودة إلى الحياة الأولى (رحم الأم) حيث الأمان والدفء والتمايز والوجود بالقوة لان الغطس في الماء يومئ إلى الارتداد إلى حالة سبقت تشكيل الشكل والطفو والصعود إلى الانبعاث والتجدد والولادة)(37).

ومن الأماكن الانتقالية التي احتلت مساحة واسعة في الرواية الأماكن المتحركة،وهي من أروع أنواع المكان وأشدها إثارة ، وذلك لان التحرك في هذا المكان ينشأ عن أسباب خفية تعود إلى قوى غيبية موجودة في ذهن السارد ويطرحها في مساحات الرواية وهذا ما نجده في عدة وشواهد في حكايات الرواية فمثلا في حكاية (جمصة البلطي)(38) نجد العفاريت تلعب دوراً في وسط النهر عندما دفع جمصة القارب إلى وسط النهر ورمى بشبكته وجد ثمة كرة معدنية تناولها بين يديه ثم رمى بها في باطن القارب وحدث التغيير في المكان والزمان حيث أحدثت صوتا تمخض عن انفجار خرج منه عفريت مسجون في قمقم منذ آلاف السنين منذ عهد سليمان خلصه منه ولم ينتبه له احد على الشاطئ .

---

(37) شعرية المكان في الرواية الجديدة:200.

(38) المصدر نفسه: 35.

وبحكم هذا العفريت جعل (جمصة) يتنقل من مكان إلى آخر في مواقع متعددة من المدينة لأداء أشياء كثيرة بمساعدة العفريت التخليص من السجن بطريقة عجيبة وحفر الأنفاق التي لا يستطيع عبورها الا العفاريت منطلقا في سماء المدينة ثائرة وفي دار الإمارة تارة في بيئة وتارة في مكان آخر (ارشق نفق لا يستطيع البشر شقه في اقل من عام)(39) وفي حكاية (طاقية الإخفاء)(40) نرى ان المكان يتغير وتتحرك فيه الشخصية بحكم تدخل العفاريت س خربوط وزر مباحة وهما قوتان خفيتان تلبس فاضل صنعان طاقية تحجبه عن الناس لإغوائه وللإثارة ولتشويق القراء فنراه يتنقل من مكان إلى أخر ويعمل مابدا له فهو عندما لبس هذه الطاقية تحول من إنسان مستقيم إلى إنسان يسلب وينهب ويدخل على النساء ويثير المشاكل في المدينة بإغواء العفاريت.(بدءاً من صباح اليوم التالي انطلق فاضل صنعان مثل الهواء يحل في أي مكان ولا يرى ....

هيمنت عليه التجربة السحرية الجديدة .....

جرب ان يكون روحاً خفياً متنقلة فأنساه السرور كل شيء حتى سعيه اليومي في سبيل رزقه شعر بالاختفاء انه يعلو ويسود ......

ويتساوى مع القوى الخفية وانه يملك زمام الأمور وان مجال الفعل يترامى أمامه بلا حدود....)(41) فهذا المكان لا يمكن ان يحدد بحيز ولا بمجال فالقوى الخفية تملكه وان السحر هو الذي ساد في هذا الحيز، ومن ذلك أيضا حكاية (معروف الاسكافي)(42) فقد عثر معروف على خاتم سليمان وهو بهذا يكون قد عثر على خلاص من حياة الكدح والزوجية واليأس (ارتفع نحو السماء ثم هبط سالماً فقال معروف في مناجاة ياخاتم سليمان ارفعني إلى السماء ولكنه انقطع فجأة عن الكلام معروف نفسه اجتاحه رعب غريب. شعر بقوة تقتلعه من مجلسه ومضى يعلو ببط وثبات حتى وقف جميع الرواد فزعين ذهليين واتجه نحو باب المقهى

---

(39) ليالي ألف ليلة : 111.

(40) المصدر نفسه: 214.

(41) ليالي ألف ليلة: 217 .

(42) المصدر نفسه: 231 .

وخرج منه وهو يصرخ، أغيثوني ثم ارتفع حتى اختفى في ظلمة ليل الشتاء) (43) وهنا نرى أن القوى الخفية المتمثلة بخاتم سليمان تتحكم بتحرك الشخصية بأمكنة متعددة وهي الطيران فوق الأرض وهذه الشخصية كانت تصلح النعل حتى تحول إلى حاكم للحي بفضل صلاحه، وتحرك المكان أتى به الكاتب في حكايات ليالي ألف ليلة أول الأمر للتشويق وإثارة الأحداث وادخل العفاريت والقوى الخفية في هذا الحيز كما رأينا كذلك لتغيير حال الشخصية اما إلى الخير او إلى الشر كما فعل مع الاسكافي وفاضل صنعان عبر الطاقية وخاتم سليمان فكانتا الأداة لتغيير الشخصيات وانتقالها من مكان إلى أخر مازجاً الخيال فيها عبر هذا ا لحيز المتحرك ، هذا المكان يرسمه لنا في الحكايات ولا وجود له في مساحة النص السردي والخالي، وهذا يأتي في حكايات السند باد كما ذكرنا قبل ذلك.

---

(43) المصدر نفسه: 232 .

المكان الحلم (الفردوس):

وهو مكان مثالي يحاول السارد أن يضفي إليه صفة من صفات المدينة الفاضلة، موجودة في خيال الكاتب ويأمل أن يعيش فيه الناس وهو مكان يسود فيه الخير والعدل والحكمة بعيدا عن متناقضات الحياة، وهذه المدينة (أكثر تعبيرا عن ذلك الطموح الإنساني التواق إلى تحقيق مجتمعات أكثر رخاء ورقيا وتقدما يتمكن الإنسان فيها من السيطرة على الطبيعة وتوجيهها وهو استرداد للذات وإعادة اكتشافها)(44) فهذا شهريار بعد عيشه الطويل في القصر مع حكايات شهرزاد هجر العرش والجاه الزوجة والولد وغادر قصر هوهرب من ماضيه ودخل مدينة (وجد شهريار نفسه في مدينة ليست من صنع البشر كأنها الفردوس جمالا وبهاء وأناقة ونظافة ورائحة ومناخا تترام ى بها من جميع الجهات العمائر والحدائق والشوارع والميادين المكللة بشتى الأزهار وتنتشر فوق أديمها الزعفران البرك والجداول سكانها نساء لا رجل بينهن ونساؤها شباب وشبابها جمال ملائكي) (45) وهي كماجاء بها الوصف الفردوس الذي يريد (شهريار) الخلاص إليه بعد أن امتلأ قسوة ودما ليتخلص من كل ما وقع به من شرك وهي مليئة بالحرية المطلقة وصيغية الأمر غير مستعملة في المملكة أو في المدينة إلا في الحب.

فقصره القديم لم يكن سوى كوخ قذر وهو بهذا المكان والزوجة الجديدة ينسى ماضيه ولكنه لم صل إلى الفردوس الحقيقي لأنه فتح بابا" لطالما حذروه من فتحه مكتوب عليه لاتفتح هذا الباب ففتحه وكان وراءه العذاب على يد مارد قبيح، ولم يرض بما وجده فعدم الرضا عرّضه للهلاك فلم يعد له مأوى فهنا نفور حاد من الواقع أو هو تعويض نفسي عن احباطات متتابعة داخل فضاء المكان المحدد ففي موقع آخر نجد المكان (الفردوس التي تنشده الشخصية بعيدا عن القتل والدمار والظلم ففي قصة (السلطان) (46) نرى شهريار يفاجأ بوجود مملكة وهمية وسلطان وحاشية ورعية في مكان ما عند عبوره النهر تقيم محكمة تعطي كل ذي حق حقه بعد ان ضاع العدل وقتل الأبرياء في مملكة شهريار الحقيقة، وأهلها من

---

(44) فضاء المكان في القصة القصيرة: 155 .

(45) ليالي ألف ليلة: 266 .

(46) المصدر نفسه: 206 .

الفقراء والصعاليك فيفاجأ بان هناك مملكة غير مملكته وحاشية ورعية وهو متنكر ليرى ماذا سيحدث، وهم يبحثون بهذا المكان عن مكان يحق الحق فيه وترد المظالم حتى ولو في الخيال. (إنها مملكة جديدة ونحن نيام ! لعله الحشيش يا مولاي ولكن مم ينفقون على هذه المظاهر الباذخة؟)(47).

ويظهر أنها مملكة فيها كل ما عند (شهريار)، وشهريار ينظر إلى هذه المملكة التي حلم بها شعبه والمحكمة المزيفة التي هي في واقع الحال محكمة عادلة لكشف براءة ابن عجر الحلاق علاء الدين الشاب الذي راح ضحية مؤامرة غادره بعد ان اتهم بالتأمر على السلطان وسرقة جوهرة زوجة الحاكم الفضل بن خاقان فهم أرادوا إنشاء مملكة وهمية يكونون فيها يدا واحدة وهم فقراء الناس وعامتهم ولكنها تقيم العدل ويرون فيها حالهم وهذا المكان يعتبر المكان الآمن لهم بعيد عن الظلم وهذا مكان أراد فيه الكاتب التغلب على معوقات الواقع واستشراف آفاق تخلو من تناقضاته وليرى شهريار مملكة بلا تزييف يشيع فيه ا العدل وفي هذا المخطط البسيط يوضح حقيقة هذا المكان : .

قصر شهريار ←——— المكان البديل ←——— الخلاص

مملكة الصعاليك ←——— الفردوس ←——— لعدل والحكمة

وفي نهاية مطاف بحثنا نرى أن نجيب محفوظ قدم المكان بمستويات عدة، الواقعي قدمه بشكل عام غير واضح المعالم والأسماء ولا يتخلله الوصف الدقيق، لعله أراد أن يعمم المكان نظرا" لتركيبة الرواية المغايرة التي تتخذ من روايات ألف ليلة نسقا" لها كما ذكرنا في المكان الواقعي،الأماكن الأخرى في الرواية يتخللها العزوف عن المألوف، وهو عزوف المؤلف عن محاكاة الواقع وما فيه من حياة يومية، إلى تجاوز قوانين الواقع إلى قوانين الفن الخيالي، والذي هو مرتبط بكل ما هو خرافي وعوالم خفية مرتبطة بقوة خفية كالمردة والجان وغيرها من الأمور العجيبة، كانت كلها حاضرة في أمكنة نجيب محفوظ الألف ليلية، في الأماكن الانتقالية والخرافية الفردوس.

---

(47) المصدر نفسه: 207 .

1432هـ/2011م

Place in The Arabian Nights By Najib Mahfuz

**Sarwa Younis Ahmad*

Abstract

In this study ,We tried to examine closely the place in the Arabian Nights by Najeeb Mahfuz. He presents real (world in many sides and in an odd atmosphere which forms as a symbol of human being movement between material and spirit. There is destruction of barriers between tenses and places specially he utilized the originality of place in the tales in its beautiful places. Also the oddness that we see that he could succeed to creat an imaginay and charmed atmosphere that it has fascination as well as the amazement of the past we see him creating the secondary re-prepare after forming. Trying to forma machinism of connection between past and present events with textural relation, within this place, he presentsa fact and many things from his community that he is'nt able to express about, those places with their characters.The writer melts borders between reality and imagination in order to try to arrive to an ideal place. Similarlyit also found in (shahraiar) to get rid of life contraries to compensate psychologically from successive frustration inside the limited space .

(*)Dept. of Arabic / College of Arts/ University of Mosul.